طوفان حلب..

الكاتب : كنان النحاس

التاريخ : 20 ديسمبر 2016 م

المشاهدات : 3996

الحمد لله القائل سبحانه: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ).

فإن شأن أهل الإيمان التدبر فيما يصيبهم من بلاء ومصاب، والتوبة إلى الله من كل ذنب وخطأ، والمؤمن يعلم أن الله تعالى لا يريد به إلا خيرًا، وأن البلاء قد يكون من ورائه الخير، وأن الذنب قد يجلب الخير بالتوبة والإصلاح.

ولا شك أن معارك حلب المحاصرة، ومآل الأمور فيها يحتاج منا وقفات طويلة، لنراجع أنفسنا ونصلح أخطاءنا ونجدد عهدنا مع الله أولًا، ومع شعبنا ثانيًا، ولكن أقول ابتداء:

ليست معركة حلب نهاية المطاف، ولن تكون بإذن الله تعالى إلا دافعًا لنا للانطلاق من جديد، توبة وإصلاحًا واعتصامًا وإخلاصًا.

إن واقع الثورة اليوم يؤكد أننا كفصائل قد انتهت صلاحيتنا للعمل بمواصفاتنا الحالية، وأن سنة الله لا تبديل لها، وأن رياح التغيير ستعصف بنا كما عصفت بمن قبلنا، وأن اعتداد الفصائل بأسمائها، وإصرارها على أن تكون هي الثورة وهي الحاكمة لشعبها، وظنها أنها هي حصن الإسلام فقط، مع ضعف في العلم والتربية والثقافة، كل ذلك أدى إلى ما نعانيه اليوم من ضعف وخور وتراجع.

ولقد فوتت الفصائل الفرصة تلو الأخرى للتوحد، أو سلكت طرقًا للتوحد لم تخلُ من المزايدات الفارغة، كما حصل في كثير من جلسات الاندماج مع بعض الفصائل، أو كانت وحدة لجلب المال وتحصيل الدعم كما حصل بالعديد من غرف العمليات للأسف الشديد.

وإن من رحمة الله تعالى أنه يمهل عباده، ويرحمهم بتأجيل العقاب، فإن بقيت القلوب قاسية وبقيت العقول مغلقة جاءتها التربية الربانية بالعقاب العادل منه تعالى، وهو ما رأيناه في سوريا من نزع البركة من جهادنا الشامي، فما أغنت عنا

أسلحتنا وأعدادنا من الله شيئا.

فإننا في معارك حلب لم نعانِ من نقص عدد وعدة، ولكننا عانينا من اختلاف قلوب وتجبّر نفوس، ومزايدات فارغة أسهمت بتدمير الساحة في حلب والله المستعان.

ولقد كان سلفنا الصالح إذا استعصى عليهم حصن راجعوا أنفسهم فتابوا وأنابوا إلى الله تعالى، حتى يفتح الله لهم الحصون ويكسر الأعداء، وكانوا دوما يتذكرون قول الله تعالى: (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ).

وقد كانت حركة أحرار الشام جزءًا من هذا الخلل، فأصابها ما أصاب غيرها من الفصائل من العجب والغرور، وأحيانًا الاستعلاء على غيرها من الفصائل، وأصبحت الحركة ـكبقية الفصائلـ غاية بنفسها عند بعض أبنائها وأنصارها، فمن أجل الحفاظ عليها نؤجل الاندماجات، ونعطل المشاريع، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومع حال الساحة المؤلم فإنني لا أرى لي جواز البقاء في منصب قيادي في حركة أحرار الشام الإسلامية إلا لهدف واحد رئيسي فقط، هو دمج الحركة مع بقية الفصائل في الساحة في اندماج يحقق مصلحة الساحة، وهدف ثانوي مهم هو منع رواج لغة المزايدات في الحركة، التي تركها لنا القادة الشهداء على منصة ريادة ثورة الشعب.

وإني لأدعو إخواني في كل الفصائل العسكرية والمؤسسات الشرعية والسياسية داخل سورية وخارجها لتبني مشروع جامع يوحد الساحة ويختصر المسافات ويقربنا من رضا الله سبحانه وتعالى، والحل الذي لا بد منه يجب أن يتضمن نقاطًا منها:

1- توحيد القيادة العسكرية والسياسية في إطار ثوري جامع، بحيث نحقق:

قيادة عسكرية حقيقية.

إشراك لكل الكفاءات العسكرية الموجودة في الساحة.

عدم سيطرة فصيل واحد على مقدرات الثورة المسلحة.

2- تطوير المجلس الإسلامي السوري ليصبح المرجعية الشرعية لأهل السنة في سورية، وذلك بـ:

إضافة العشرات من طلبة العلم للجمعية العامة من العلماء وطلبة العلم العاملين في الساحة.

إدخال عدد من علمائنا للأمانة العامة بشكل فوري دون انتظار انتهاء الدورة الحالية للأمانة العامة.

تغيير آلية التفاعل وسرعة الاستجابة من المجلس لأحداث الثورة، وفتح مقر له داخل المناطق المحررة، مع تكثيف زيارات علمائنا للداخل المحرر.

3- توحيد القضاء في الداخل، الذي أصبح مهزلة يتندر بها الناس، وهذا يحتاج إعطاءه السلطة الحقيقية ووضع الكفاءات العلمية فيه، ويعتمد المجلس الإسلامي المدونة القضائية الأنسب لمحاكمنا.

4- توحيد الإدارات الفصائلية للمناطق المحررة، ودمجها مع المجالس المحلية ـغير الفصائليةـ في إدارة مدنية واحدة، بحيث ترفع الفصائل يدها عن الإدارة وتتفرغ لواجبها الأساسي بالقتال والتحرير.

5- اعتماد علم الثورة، والخطاب الوطني الجامع المنسجم مع الهوية الإسلامية المؤسسة لهذا الخطاب، وكلنا يعلم أن الإسلام الصافي هو أساس شخصية السوري، فلا يحتاج أن يبرهن على إسلامه في كل صباح ومساء.

وشيئًا فشيئًا نقوم بحل فصائلنا ضمن جيش الثورة القادم والجامع لكل مجاهدينا.

أما بالنسبة لإخواننا في فتح الشام، فالواجب عليهم حل تشكيلهم الذي كان وسيبقى فزاعة وسببًا للاستهداف من قبل أعدائنا، ونحن نعلم أن أعداءنا سيبحثون عن فزاعة أخرى بعدهم، ولسنا نطلب من فتح الشام أن تحل تشكيلها إرضاء للغرب، بل تخفيفًا عن الشعب، أما نكايتهم بالأعداء فهي باقية، فمنهم الأخ والأب وابن العم، وسينخرطون في جيش التحرير القادم، ولن نتخلى عنهم أبدًا بإذن الله تعالى.

وهنا لا بد من التأكيد أن أكبر جرم ارتكبناه في هذه الثورة المباركة كان جرثومة الغلو والتحزب، تليها جريمة السكوت عن

هذا الغلو، وتساويها جريمة الفساد والسرقات، التي دمَّرت أو كادت معظم فصائل الجيش الحر.

ومن تابع ملاحم حلب عن قرب علم كيف اجتمعت هذه الثلاث فدمرت جهاد الرعيل الأول من عبدالقادر صالح وإخوانه تقبلهم الله تعالى.

وفي الختام نقول لأهلنا وشعبنا، تيجان رؤوسنا ومعقد آمالنا: كنا وسنبقى لكم خدمًا، قدمنا دماءنا سابقًا من أجلكم، واليوم وغدًا سنقدمها لكم بإذن الله تعالى.

وكما بدأنا مقالتنا نعود ونقول: لن تكون حلب محطة النهاية، ولكنها ستكون منارة التصحيح، والدرس القاسي الذي لا بد أن نصحو بعده لنتوب ونصحح ونبين، ومن ثم نوحِّد الصفوف ونتابع ثورتنا من جديد، كما بدأناها أول مرة: هي لله، هي لله، لا للسلطة ولا للجاه.

ملاحظة: كتبت هذه المقالة على عجالة منذ حوالي أسبوع تقريبًا، واليوم أجدني مضطرًا لتوضيح أمر مهم جدًّا، وهو أنه من غير الصواب أن نطلب من فتح الشام أن تصل في التفاني لآخر مدى، فيما لا نقوم نحن بأدنى درجات التضحية، كما أنه من الظلم المبين أن ننكر قوة وشدة فتح الشام في معاركها ضد النظام والرافضة في عموم سورية، وأما أخطاؤهم العسكرية فكل الفصائل لها وعليها في المعارك.

لذلك لا بد لنا في أي دمج ـ عملي ممكن ـ للساحة أن نقدم شيئًا للإخوة في فتح الشام، وليس الحل بشيطنتهم أو دفعهم للمفاصلة معنا، وبالطبع ليس الحل بتصدرهم أي اندماج قادم يؤدي لتصنيف الثورة ككل، وتحميل شعبنا ما لا يطيقه وما لا يجب عليه.

الدرر الشامية

المصادر: